الفصل الثاني

اهتمام الأمم والشعوب بدفع داء العنوسة

المبحث الأول
دفع العنوسة عند العرب

المبحث الثاني
دفع العنوسة عند غير العرب

المبحث الأول

دفع العنوسة عند العرب

١ ـ نشر الشعر وكحل إحدى العينين

٢ ـ الدعاية والإعلان

٣ ـ الدعاء والتمني

٤ ـ عرض المرأة نفسها على الرجال

٥ ـ سرعة الإجابة للخاطبين

٦ ـ التزين

٧ ـ الكذب والإشاعات لإنفاق الأيم

٨ ـ حث المرأة أهلها على زواجها واستعجالهم بإدخالها على زوجها

٩ ـ الاستعانة بالمراسلات من النساء

١٠ ـ اللجوء إلى الخداع والتغرير واستبدال العانس بغيرها

١١ ـ وجود ذاكرين للأسر وواصفين لجمال النساء

المبحث الأول

دفع العنوسة عند العرب

ذكرنا في مقدمة كتابنا هذا أن العنوسة لم تكن ظاهرة تؤرق المجتمع العربي، بل كان العربي يئد بنته خوفا من زواجها بغير الأكفاء، وضنانة بها من دفعها لرجل، وأحيانا كان يعتل على خاطب ابنته بعد موافقته على مصاهرة هذا المتقدم لابنته كأن يعتل بصغر سن ابنته وأنها دون سن الزواج، كما فعل والد جرير الشاعر فقد تقدم لابنته ـــ وهي أم جرير ـــ متقدم فرده متعللا بصغر سنها، ودار بينهما الحوار الذي ذكره ابن منظور بقوله: الحِقَّة: نَبْزُ أُم جَرِير بن الخَطَفَى، وذلك لأَن سُوَيْدَ بن كراع خطبها إلى أَبيها فقال له: إِنها لصغيرة صُرْعةٌ، قال سويد: لقد رأَيتُها وهي حِقَّةٌ [1]أَي كالحِقَّة من الإِبل في عِظَمها.[2] وقد يشتط أهل المرأة في مهرها اشتطاطا ليس بعده اشتطاط، يقصدون منه تعجيز المتقدم لطلب يد ابنتهم، قال كثيِّر:

وإِنَّ الذي يَنْوِي مِنَ المالِ أَهلُها أَوارِكُ،[3] لمّا تَأْتَلِفْ، وعَوادِي[4]

---

[1] الحِقُّ، بالكسر، من الإبل: الداخلَةُ، في الرابعَة، وقد حَقَّتْ تَحِقُّ حِقَّةً وحِقّاً، بكسرهما، وأَحَقَّتْ، وهي حِقٌّ وحِقَّةٌ، بيِّنَةُ الحِقَّة، بالكسر أيضاً، ولا نَظيرَ لها، ج: حِقَقٌ، كعِنَب، وحِقاقٌ، وجج: حُقُقٌ، بضَمَّتَيْنِ، سُمِّيَ لأَنَّهُ اسْتَحَقَّ أن يُرْكَبَ، أو اسْتَحَقَّ الضِّرابَ. [القاموس المحيط للفيروز آبادي ، باب القاف ، فَصْلُ الحَاء]

[2] لسان العرب، مادة: حقق

[3] الإبل الأوارك: التي اعتادت أكل الأراك، والفعل أَرَكَتْ تَأْرِكُ أَرْكاً، وقد أَرَكَتْ أُرُوكاً إذا لزمت مكانها فلم تبرح، وقيل: إنما يقال أَرَكَتْ إذا أقامت في الأراك وهو الحمض، فهي أَرِكة. [لسان العرب ، مادة : أرك]

[4] ذكَرَ امرأَةً وأَن أَهلَها يطلبُون في مَهْرِها من المالِ ما لا يُمْكن ولا يكون كما لا تَأْتَلفُ هذه الأَوارِكُ والعَوادي، فكأَن هذا ضدّ لأَنَّ العَوادِيَ على هذَيْن القولين هي التي تَرْعى الحُلَّةَ والأَوارك التي تَرْعى

أَرِكَت الناقة أَرَكاً، فهي أَرِكةٌ مقصور، من إبل أُرُكٍ وأَوارِك: أكلت الأَراك، والإبل الأَوارك: التي اعتادت أكل الأَراك، والفعل أَرَكَتْ تَأْرِكُ أَرْكاً، وقد أَرَكَتْ أُرُوكاً إذا لزمت مكانها فلم تبرح، وقيل: إنما يقال أَرَكَتْ إذا أقامت في الأَراك وهو الحمض، فهي أَرِكة؛ يقول: إن أهل عَزَّة ينوون أن لا يجتمع هو وهي ويكونا كالأوارِك من الإبل والعَوادي في ترك الاجتماع في مكان، وقيل: العَوادي المقيمات في العضاه لا تفارقها، يقول: أهل هذه المرأة يطلبون من مهرها ما لا يمكن كما لا يمكن أن تأتلف الأَوارك والعَوادي وتجتمع في مكان واحد.[1]

ومن خلال تتبعي الطويل لموضوع العنوسة وجدت أن النساء كن في الجاهلية إذا أعضلهن أولياؤهن وعنسوهن أو كبرن وخفن ذهاب قطار الزواج يفعلن الآتي:

١ ـ نشر الشعر وكحل إحدى العينين:

كان من مذاهب العرب في الجاهلية أن المرأة منهم إذا عسر عليها خاطب النكاح، نشرت جانبا من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وحجلت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلا، وتقول: يا لكاح أبغي النكاح قبل الصباح، فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب،

قال رجل لصديق وقد رأى أمه تفعل ذلك:

أما ترى أمك تبغي بعلا ... وقد نشرت من شعرها الأكحلا

ولم توف مقلتيها كحلا ... ترفع رجلا وتخط رجلا

الحَمْضَ، وهما مُخْتَلفا الطَّعْمَيْن لأن الخُلَّة ما حَلا من المَرْعى، والحَمْض منه ما كانت فيه مُلُوحَةٌ، والأَوارك التي ترعى الأَراك وليسَ بحَمْضٍ ولا خُلَّة، إنما هو شجر عِظامٌ. [لسان العرب، مادة : عدا]

[1] لسان العرب، مادة: أرك

هذا وقد شاب بنوها أصـــلا وأصبح الأصغر منهم كهـــلا
خذها القطيع ثم سمها الذلا ضربا تترك به هذا الفعـــلا

وقال آخر:

قد كحلت عينا وألقت عينا وحجلـــت ونشـرت قرينا
تظن زينا ما تراه شينا

وقال أحد الشعراء موئسا امرأة بأنها لا خاطب لها:

تصنعـــي مـــا شئت أن تصنعـي وكحِّلـــي عينيك أو لا فدعـــي
ثم احجلي في البيت أو في المجمع مالك بعـــل أرى من مطمـــع[1]

٢ ـ الدعاية والإعلان:

الدعاية والإعلان من الأشياء المنفقة للسلعة التي يريد صاحبها رواجها، وقد فطن العرب لذلك في جاهليتهم والدعاية اليوم تقوم على استعمال المذياع والتلفاز والصحف والمجلات مما يعني أنها مقروءة ومسموعة ومرئية وبما أن المجتمعات العربية كان يغلب عليها الأمية فكانت الكتابة فيها قليلة جدا ولم تظهر المرئيات من تلفاز وغيره بعـــد، فكانـــت الدعاية تقوم على إسماع الآخرين وإبلاغهم حسن الصنف المطلـــوب رواجـــه، فكـــان الشعراء يروجون لما يريدون ولما يريده المجتمع من رفع بعض الأشياء وحطهـــا بمـــدحهم للأول والإشادة به وبهجوهم للثاني وذمهم له.

ومن أمثلة ترويج البضائع والسلع ما قاله الأصمعي : قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأجرة فباعها كلها إلا السود منها ، فلم تنفق ، وكان صديقا للدارمي الشـــاعر ،

---

[1] شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٤٣

فشكا ذلك إليه ، وكان الدارمي قد تنسك ، وترك الشعر والغناء ، فقال لـه: لا تهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... مـاذا صنعت بزاهـد متعبـد

قد كان شمر للصلاة ثيـابه ... حتى عرضت لـه بباب المسجد

ردي عليه صيامه وصلاتـه ... لا تقتليه بحـق دين محمـد

فشاع قول الدارمي هذا في الناس وقالوا: رجع الدارمي عن نسكه، وعاد إلى فتكه، فلم تبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خمارا أسود حتى نفد ما كان عند العراقي، فلما علم الدارمي ذلك رجع إلى نسكه ولزم المسجد.[1]

ومن ما يدخل في دائرة الدعاية والإعلان المتعلق بدفع العنوسة الآتي:

أ ـ طلب المرأة من أحد الشعراء أن يشبب بها:

شبب ذو الرمة بخرقاء العامرية بغير هوى، وإنما كانت كحَّالة فداوت عينه من رمد كان بها، فقال لها: ما تحبين حتى أعطيك؟ فقالت: لي عشر بنات أيامى، فشبب بي ليرغب الناس فيهن إذا سمعوا في بقية للتشبيب ففعل.[2]

وقال السدوسي وقف نصيب على أبيات واستسقى ماء فخرجت إليه جارية بلبن أو ماء فسقته وقالت: شبب بي فقال: وما اسمك؟ قالت: هند فنظر إلى جبل وقال: ما اسم هذا العلم؟ قالت: قنا فأنشأ يقول:

أحب قنا من حـب هند ولم ... أكن أبالي أقربا زاده الله أم بعدا

أروني قنا أنظر إليـه فإننـي ... أحب قنا إني رأيت به هنـدا

---

[1] بهجة المجالس ج١ص٥٥٨

[2] انظر الأغاني ج١٧ص٣٣٦

فشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أجلها وأصابت الجارية خيرا بشعر نصيب فيها.[١]

ب ـ طلب الوالدين من الشاعر أن يشبب بابنتهم:

قد يطلب أحد الوالدين أو كلاهما من شاعر أن يشبب بابنتهما العانس لينفق سوقها ويسهل أمرها: قال الأصمعي: حدثني رجل قال : جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت : إن لي بنات قد كسدن عليّ فشبب بواحدة منهن لعلها تنفق ، فشبب بواحدة منهن ، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بعث إليه فقال : ما هذا؟ فقالوا: زوجت فلانة ؟ فشبب بالأخرى فأتاه مثل ذلك. فسأل عنها فقيل: زوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجهن جميعا.[٢]

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: ورأيت في ديوان الشماخ: نزلت امرأة المدينة ومعها بنات لها وسيمات فجعلت للشماخ عن كل واحدة جزورا على أن يذكرهن فذكر له قصيدة.[٣]

ج ـ طلب الأب من أحد الشعراء إشهار أمره:

قد يطلب أحد الآباء من أحد الشعراء مدحه وإشهار أمره وإعلاء ذكره والتنويه بشرفه ولفت الأنظار إليه حتى يرغب الناس في بناته، ويودون مصاهرته، ومن ذلك: كان

---

[١] معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٠

[٢] الأغاني ج ٨ ص ٧٨ ــ ٧٩

[٣] الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٣٩٢٢

المحلق بن حنتم بن شداد[1] رجلا فقيرا من بني عكاظ خامل الذكر وكان له عشر بنات، لا يرغب فيهن أحد لفقرهن، ففارق حي عكاظ وانعزل عنهم إلى بعض المهامه والبراري لأنفة نفسه، فنزل به الأعشى ذات ليلة فأحسن قراه وأكرم مثواه، ونحر له ناقة لم يكن عنده غيرها، فوقع سخاؤه من الأعشى موقعا جليلا، فلما أصبح الأعشى واستوى على راحلته، قال له ألك حاجة؟ قال: نعم قال: فما هي؟ قال: إني أريد أن تسير بذكرى في بني عكاظ والعرب لعلي أشتهر ويرغب في بنايّ أحد فقد مسهن العنس. فقال الأعشى كفيت أمرهن ثم توجه الأعشى إلى عكاظ ومدحه بقصيدة طويلة منها :

أرقت وما هذا السهاد المورّق ... وما بي من سقْم وما بي معشق

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرّق

تُشَبُّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيانِها ... وباتَ على النارِ النَّدَى والمُحَلِّقُ

تَرُوحَ على آلِ المُحَلِّقِ جَفْنَةٌ ... كجابيةِ الشيخِ العِراقِيِّ تَفْهَقُ

فذكر في قصيدته مكارم أخلاق المحلق ومحاسن شيمه، واستمال قلوب أهل عكاظ إلى مواصلته وإخائه، فلم يمض إلا قليل حتى خطب إليه جميع بناته.[2]

د- عرض الفتيات وهن صغار على أهل الحي قبل حجبهن:

ومن الأشياء التي كان يقوم بها العرب لإنفاق بناتهم الصغار، هي عرضهن على أهل الحي من الرجال والشبان، وذلك عند صغرهن وقبل بلوغهن، ليتقدم إليهن من يرغب فيهن، ويكون قد نظر إليهن، وذلك لأن الحجاب، كان سائدا عند القبائل العربية

---

[1] المُحلّق، بكسر اللام: اسم رجل من ولد بَكْر بن كِلاب من بني عامر ممدوح الأعشى؛ قال ابن سيده: المُحلّق اسم رجل سمي بذلك لأن فرسه عضّته في وجهه فتركَتْ به أثراً على شكل الحَلقة. [لسان العرب مادة : حلق]

[2] شواهد الكشاف ج٤ص٤٦٩ / وانظر القصيدة كاملة في : ديوان الأعشى ص ١١٦ ــ ١٢١

ومنتشرا بينها، فكان الشخص لا يرى من المرأة شيئا وذلك لاحتجابها واستتارها، وذلك للبسها النقاب والوصاوص والبرقع واستعمالها اللثام والاعتجار.

والبنت التي تعرض على القوم بقصد النظر إليها حتى يخطبها من يرغب فيها تسمى المعرضة ، قال ابن منظور : والمُعَرَّضةُ من النساء: البكر قبل أن تُحْجَبَ وذلك أنها تُعْرَضُ على أهل الحيّ عَرْضةً لِيَرغَبُوا فيها مَنْ رَغِبَ ثم يَحْجبونها؛ قال الكميت:

لَيالِيَنا إذْ لا تزالُ تَرُوعُنا ... مُعَرَّضةٌ مِنْهُنَّ بِكْرٌ وثَيِّبُ[1]

٣ ـ الدعاء والتمني:

أ ـ الدعاء :

قالت امرأة تدعو وتبين نوع زوجها الذي تريده وتتمناه :

فيا رب لا تجعل شبابي وبهجتي ... لشيخ يعنيني ولا لغلام

ولكن صُمُلٌّ[2]قد عسا عظم زوره ... شديد مناط العُضدين حسام

فنبئت أن الشيخ يعذل أهله ... وفي بعض أخلاق الرجال عرام[3]

ب ـ التمني:

التمني عند الفتيات العوانس كثير جدا، فيظهرن بعضه ويخفين أكثره ويكتمنه، أنشد ابن الأعرابي:

كتَمَ الحُبَّ فأخْفاه، كما ... تَكْتُم البِكْرُ من الناسِ الوَحَمْ

---

[1] لسان العرب، مادة : عرض

[2] رجل صُمُلٌّ بضمتين وتشديد اللام أي شديد الخلق.[مختار الصحاح للرازي ، باب الصاد]

[3] خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت تحقيق عبد الستار أحمد فراج الطبعة الثانية مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٨٥م ص ٢٢

والوَحَمُ: شهوةُ النكاح.[١] وقد صور لنا رؤبة بن العجاج حال امرأة بلغت من العنوسة وعدم الزواج مبلغا جعلها تقول :

قالت سليمى ليت لي بعلا يمن بغسل جلدي وينسيني الحزن
وحاجة ليست لها عندي ثمن مشهورة قضاؤها منه وهن
قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيرا معدما ؟ قالت وإن[٢]

وقال آخر يصف ضخم امرأة وصحتها وسمنها وما يجيش بخلدها من أماني عن مستقبل حياتها:

جارِيَةٌ أَعْظَمُها أَجَمُّها[٣] قد سمنتها بالسويق أمها
تبيت وسنى والنكاح همها بائِنةُ الرَّجْلِ فما تَضُمُّها
فهي تَمَنَّى عَزَباً[٤] يَشُمُّها[٥]

ولا يقتصر التمني على النساء العوانس فقط بل قد يتجاوزهن إلى غيرهن من المتزوجات اللاتي يطمحن بأعينهن إلى بعض الرجال لجمالهم ولكرم خصالهم كما في قصة نصر بن

---

[١] انظر : لسان العرب مادة : وحم

[٢] العقد الفريد ج٤ص٨٦ / أوضح المسالك ج ١ ص ١٨

[٣] الأَجَمُّ: قُبُلُ المرأة.

[٤] قالت بعض نساء الأعراب وهي تتمنى بَعْلاً: إن ضَمَّ قَضْقَض، وإن دَسَر أَغْمَص، وإن أَخَلَّ أَحْمَض؛ قالت لها أُمها: لقد فَرَرْتِ لي شِرَّة الشَّباب جَذَعة؛ تقول: إن أخذ من قُبُل أتبع ذلك بأن يأخذ من دُبُر. [لسان العرب، مادة: خلل]

[٥] لسان العرب، مادة: جمم

حجاج بن علاط السلمي الذي نفاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة وكان عمر قد خرج يتعسس ليلا فسمع امرأة تنشد:

يا ليت شعري عن نفسي أزاهقة ... مني ولم أقض ما فيها من الحاج

ألا هَلْ مِنْ سَبيلٍ إلى خَمْرٍ فأَشْرَبَهَا ... أمْ هَلْ من سَبِيلٍ إلى نَصْرِ بن حَجَّاجِ

فقال: أما في عهد عمر فلا، فلما أصبح دعا نصر بن حجاج فرآه فإذا هو من أحسن الناس وجها فأمره أن يعتم فازداد جمالا فحلق رأسه وأمر بنفيه إلى البصرة فقال: وما ذنبي؟ قال عمر: الذنب ذنبي إن تركتك في دار الهجرة.[1]

وقال حافظ إبراهيم مصورا مشهد نصر بن حجاج مع عواتق المدينة وحسناواتها وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه:

جنى الجمال على نصر فغربه ... عن المدينة تبكيه ويبكيها

كانت له لمة[2] فينانة[3] عجب ... على جبين خليق أن يحليها

وكان أني مشى مالت عقائلها[4] ... شوقا إليه وكاد الحسن يسبيها

هتفت تحت الليالي باسمه شفقا ... وللحسان تمنٍّ في لياليها

جززت لمته لما أتيت به ... ففاق عاطلها[5] في الحسن حاليها

---

[1] بهجة المجالس ج١ص٨١١ــ٨١٢ / النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {منا}

[2] لمة: بالكسرة: الشعر المجاور شحمة الأذن والجمع لمم .

[3] فينانة: طويلة حسنة

[4] عقائلها: عقائل المدينة. وعقائل النساء كرائمهن الواحدة عقيلة . يسبيها يأسرها

[5] عاطل اللمة : المجرد منها . وحاليها : المتزين منها .

فصحت فيه تحول عن مدينتهم فإنها فتنة أخشى تماديها [١]

٤ ـ عرض المرأة نفسها على الرجال:

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَنَسٍ وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ قَالَ أَنَسٌ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْرِضُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَكَ بِي حَاجَةٌ فَقَالَتْ بِنْتُ أَنَسٍ مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا وَا سَوْأَتَاهْ وَا سَوْأَتَاهْ قَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا. [٢]

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله (وعنده ابنة له) لم أقف على اسمها وأظنها أمينة بالتصغير . قوله (جاءت امرأة) لم أقف على تعينها ، وأشبه من رأيت بقصتها ممن تقدم ذكر اسمهن في الواهبات ليلى بنت قيس بن الخطيم ، ويظهر لي أنها صاحبة هذه القصة غير التي في حديث سهل . قوله (واسوأتاه) أصل السوءة – وهي بفتح المهملة وسكون الواو بعدها همزة – الفعلة القبيحة ، وتطلق على الفرج ، والمراد هنا الأول ، والألف للندبة والهاء للسكت. [٣]

قال ابن المنير : من لطائف البخاري أنه لما علم الخصوصية في قصة الواهبة استنبط من الحديث ما لا خصوصية فيه وهو جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح رغبة في صلاحه فيجوز لها ذلك وإذا رغب فيها تزوجها بشرطه. [٤]

---

[١] ديوان حافظ إبراهيم ج ١ ص ٨٩ ــ ٩٠

[٢] صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، حديث رقم: ٤٧٢٦

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٢١١ ــ ٢١٢

[٤] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١ص٧٩

وقال ابن حجر : وفى حديث الواهبة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن من رغبت في تزويج من هو أعلى منها لا عار عليها أصلا ولا سيما إن كان هناك غرض صحيح أو قصد صالح إما لفضل ديني في المخطوب أو لهوى يخشى من السكوت عنه الوقوع في محذور.[1]

٥ ـ سرعة الإجابة للخاطبين :

أم خارجة [2]هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة، كان يأتيها الخاطب، فيقول: خطب. فتقول: نكح . فيقول: أنزلي. فتقول: أنخ.

ذكر أنها كانت تسير يوما وابن لها يقود بحلها، فرفع لها شخص، فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ فقال: أراه خاطبا، فقالت: يا بني تراه يعجلنا أن نحل، ماله إل وغل. وكانت ذواقة تطلق الرجل إذا جربته وتتزوج آخر، فتزوجت نيفا وأربعين زوجا، وولدت عامة قبائل العرب.

تزوجت رجلا من إياد فخلعها منه ابن أختها خلف بن دعد وخلف عليها بعد الإيادي بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فولدت له خارجة وبه كنيت، وهو بطن ضخم من بطون العرب. ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بن حارثة، بن عمرو ميزيقيا فولدت له سعد أبا المصطلق والحيا ، وهما بطنان في خزاعة، ثم خلف عليها بكر بن عبد مناة بن كنانة، فولدت له ليثا والديل وعريجا، ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١ص١٢٢

[2] قال الفيروز آبادي : أمُّ خارِجَةَ ، امرأةٌ من بَجيلَةَ، ولَدَتْ كثيراً مِنَ القَبائِلِ، كانَ يُقالُ لها: خطْبٌ، فتقولُ: نكْحٌ، وخارِجَةُ ابْنُها، ولا يُعلَمُ ممَّنْ هو، أو هُوَ ابنُ بَكْرِ بنِ يَشْكُرَ بنِ عَدْوَانَ بنِ عَمْرِو بنِ قَيْسِ عَيْلاَنَ. [القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب الجيم ، فَصْلُ الخاء / لسان العرب ، مادة : خرج]

بن دودان بن أسد بن فرات، فولدت له غاضرة وعمرا، ثم خلف عليها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر من قضاعة فولدت له عرانية بطنا ضخما، ثم خلف عليها عامر بن عمرو بن لحيون البهراني من قضاعة ، فولدت له ستة: بهراء وثعلبة وهلالا وبيانا ولخوة والعنبر، ثم خلف عليها عمرو بن تميم فولدت له أسيد والهجيم.[1]

وخطب رجلٌ امرأةً إلى نفسها، وكانت امرأة بَرْزةً قد انكشفَ وجهُها وراسَلَتْ، فقالت: إن سألت عني بني فلان أُنبِئْتَ عني بما يسُرُّك، وبنو فلان يُنْبِئُونَك بما يَزِيدُك فيَّ رَغْبةً، وعند بني فلان مني خُبْر، فقال الرجل: وما علم هؤلاء بك؟ فقالت: في كلٍّ قد نُكحت، قال: يا ابنة أُمّ، أراكِ جَلَنْفَعَةً قد خزَّمَتْها الخَزائمُ قالت: كلا ولكني جَوَالة بالرجل عَنْتَرِيسٌ. والجَلَنْفَع: المسنّ، أكثر ما توصف به الإناث.[2]

٦ ـ التزين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن امرأة يقال لها رعلة القشيرية وفدت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة ذات فصاحة ولسان فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته إنا ذوات الخدور ومحل أزر البعول ومربيات الأولاد ولا حظ لنا في الجيش فعلمنا شيئا يقربنا إلى الله عز وجل فقال: عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وخفض الصوت ، الحديث وفيه أنها قالت: يا رسول الله إني

---

[1] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم : ١١٣٠٦/ مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٨٧ / المحبر لابن حبيب ص٣٩٨

[2] لسان العرب، مادة : جلفع.

امرأة مقينة أقين النساء وأزينهن لأزواجهن فهل من حوب فأثبط عنه ؟ قال لها يا أم رعلة: قينيهن وزينيهن إذا كسدن.[١]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ عَثَرَ أُسَامَةُ بِعَتَبَةِ الْبَابِ فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيطِي عَنْهُ الْأَذَى فَتَقَذَّرْتُهُ فَجَعَلَ يَمُصُّ عَنْهُ الدَّمَ وَيَمُجُّهُ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَّيْتُهُ وَكَسَوْتُهُ حَتَّى أُنَفِّقَهُ.[٢]

قال السندي: عثر: من العثرة وهي الزلة أي زلت قدمه فسقط ووقع على عتب الباب (فشج) على بناء المفعول وشجة الرأس والوجه معروفة قوله (أميطي) أزيلي (الأذى) الدم (فتقذرته) كرهته (ويمجه) أي يرميه من الفم (حتى أنفقه) من نفق بالتشديد إذا زوج وأنفق لغة فيه حتى تميل إليها قلوب الرجال وهذا في المعنى كالشفاعة في النكاح.[٣]

وعن عمار بن عمران رجل من زيد الله عن امرأة منهم عن عائشة: أنها شوفت جارية وطافت بها وقالت لعلنا نصطاد بها شباب قريش.[٤]

---

[١] الإصابة لابن حجر، ج٨ص٢٠٤ــ٢٠٥، ترجمة رقم: ١٢٠٢١/ أسد الغابة لابن الأثير ج٦ص٣٣١ ترجمة رقم ٧٤٤٠

[٢] سنن ابن ماجة: كتاب النكاح، باب: الشفاعة في التزويج، حديث رقم: ١٩٦٦

[٣] شرح سنن ابن ماجة للسندي ج ٢ ص ٤٧٧

[٤] مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ٤٩، ما قالوا في الجارية تشوف ويطاف بها، حديث رقم: ١٧٦٦٤

قال ابن قتيبة: في حديث عائشة أنها شَوَّفَت جاريةً فطافَت بها وقالت لعلّنا نَصيد بها بعض فِتْيان قُرَيش أي زَيَّنتْها يقال شوَّف وشيَّف وتشَوَّف أي تزيَّن وتشَوَّف للشيء أي طَمح بَصَره إليه. [1]

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أنهم مروا عليه بجارية قد زينت قال فدعا بها ونظر إليها وأجلسها في حجره ومسح على رأسها ودعا لها بالبركة. [2]

وقد مر بنا أن امرأة تزينت وتخضبت فغرت أحد الناظرين إليها وهو أبو الزوائد الأعرابي. [3]

٧ ـ الكذب والإشاعات لإنفاق الأيم :

الأيامى: الذين لا أزواجَ لهم من الرجال والنساء، وأصله أيايِمُ، فقلبت لأن الواحد رجل أَيِّمٌ سواء كان تزوَّج قبل أو لم يتزوج. ابن سيده: الأَيِّمُ من النساء التي لا زَوْج لها، بِكْراً كانت أَو ثَيِّباً، ومن الرجال الذي لا امرأة له، وجَمْعُ الأَيِّمِ من النساء أَيايِمُ وأَيامى، وقد آمَتِ المرأَة من زَوْجها تَئِيمُ أَيْماً وأُيوماً وأَيْمَةً وإِيمة وتأَيَّمَتْ زماناً وأتامَتْ وأَتَيَمْتها: تَزَوَّجْتُها أَيِّماً. وتأَيَّم الرجلُ زماناً وتأَيَّمت المرأَة إذا مَكَثا أَيّاماً وزماناً لا يتزوَّجان؛ وأَنشد ابن بري:

لقد إِمْتُ حتى لامَني كلُّ صاحِبٍ ... رَجاءً بسَلْمى أَن تَئِيمَ كما إِمْتُ

---

[1] غريب الحديث ج ٢ ص ٥٠٩/ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {شوف}/ لسان العرب، مادة: شوف

[2] مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ٤٩، ما قالوا في الجارية تشوف ويطاف بها، حديث رقم: ١٧٦٦٥

[3] انظر ص من هذا الكتاب

يقال: امرأةٌ أَيِّمٌ وقد تأيَّمَتْ إذا كانت بغير زَوْج، وقيل ذلك إذا كان لها زوج فمات عنها وهي تَصْلُح للأَزْواج لأنَّ فيها سُؤْرةً من شَباب؛ وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ [1] دخَل فيه الذَّكَر والأُنثى والبِكْر والثَّيِّب، وقيل في تفسيره: الحَرائر. وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: الأَيِّمُ أَحَقُّ بنفسها، فهذه الثَّيِّبُ لا غير؛ وكذلك قول الشاعر:

لا تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ، ما عِشْتَ، أَيِّماً مُجَرَّبةً، قد مُلَّ منها، ومَلَّتِ

والأَيِّمُ في الأصل: التي لا زوجَ لها، بِكْراً كانت أَو ثَيِّباً، مطلَّقة كانت أَو مُتَوَفًّى عنها. [2]

عندما يرى بعض العرب بوار بناتهم، وعزوف الأزواج عنهن، وازورارهم عن القرب بساحتهن، ونفوق من حولهم من بنات الأهل والجيران وتزوجهن وإنجاب الكثيرات منهن وتنعمهن مع أزواجهن وأولادهن، وأن ابنتهم صارت الوحيدة بين لداتها غير متزوجة وأن قطار الزواج قد أذن بالترحل ويخشى عليها أن تدخل في مرحلة العنوسة ودوامتها، فيفكر بعضهم في إطلاق الشائعات وبث الأراجيف حول ابنتهم، فيطلقون: أن زيدا تقدم لطلب يد ابنتهم فرفضناه، وأن عمرا التمس القرب منا فقبلناه ولكن رفضته ابنتنا فاستجبنا لرغبتها في رفضها له وأن فلانا وفلانا منتظرون إشارة منا وموافقة من عندنا حتى يتقدموا لطلب يد كريمتنا وتكون هذه الأقوال لا أصل لها في حقيقة الأمر وإنما ائتفكوها إشعالا لسوق ابنتهم وإيهاما لغيرهم من الأسر بأن ابنتهم رائجة السوق وتغريرا براغبي الزواج بأن المنافسة على هذه البنت شديدة فيغتر أحدهم ويقع في شباكهم ويظن

---

[1] سورة النور آية ٣٢

[2] لسان العرب مادة : أيم

كثيرون من الأهل أن هذه الشائعات تجعل المفكرين في الزواج يفكرون في أمر هذه الفتاة وحتى بعض المتزوجين يقولون: كيف غفلنا عن هذه الفتاة حتى تزاحم عليها الناس فيهرع بعضهم لخطبتها، وهذا الأمر يسمونه عند العرب الاختطاب قال ابن منظور: واختطب القوم فلانا إذ دعوه إلى تزويج صاحبتهم، قال أبو زيد: إذا دعا أهل المرأة الرجل إليها ليخطبها فقد اختطبوا اختطابا. قال: وإذا أرادوا تنفيق أيمهم كذبوا على رجل فقالوا: قد خطبها فرددناه، فإذا رد عنه قومه قالوا: كذبتم لقد اختطبتموه فما خطب لكم.[1]

٨ـ حثّ المرأة أهلها على زواجها واستعجالهم بإدخالها على زوجها:

أ ـ حثّ أهلها على زواجها :

نظرت الشاعرة الأندلسية قسمونة بنت إسماعيل اليهودي وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها نظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت:

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها.[2]

ب ـ استعجالها أهلها بإدخالها على زوجها حين زواجها :

من الأمور التي كان يتبعها بعض نساء العرب عندما يعقد أحد الناس نكاحه على فتاة منهم، ويؤخر أهل البنت إدخالها عليه بعلة تجهيز البيت، والاستعداد لعمل الوليمة، ويمضي الأهل في تجهيزاتهم التي قد يطول زمنها[3] غير واضعين أي اعتبار

---

[1] لسان العرب مادة خطب ج ٤ ص ١٣٥

[2] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣ ص ٥٠٣

[3] مع أن أمر الزواج كان في غاية السهولة والبساطة وبخاصة موضوع البيت والسكن العقبة الكؤود الآن أمام القادمين على الزواج فقد كان الرجل تنصب له خيمة تكون بيتا له ولزوجته . قال ابن قتيبة

لمشاعر ابنتهم التي تكون قد هيأت نفسها لأن تصبح زوجة تنعم مع زوجها، وتمر عليها الساعات بطيئة والأيام ثقيلة، والشهور وقد يتجاوز تأخير الأسرة لهذه التجهيزات السنوات، فيضيق صدر الفتاة وينفذ صبرها، فتقول للخواص من صديقاتها قد طال انتظاري لزوجي، وأرى أنه يكفي ما قد تم تجهيزه أو أقول لكم أريد زوجي من غير تجهيز، وفي أمثال العرب قصة فتاة، بلغ بها شوقها للدخول على زوجها وتضجرت من اعتلال أهلها بالانشغال بالتجهيزات فقالت: عِلَّةٌ ما عِلَّه أَوْتادٌ وأَخِلَّه، وعَمَدُ المِظَلَّه، أَبْرِزُوا لصِهْرِكم ظُلَّه؛ قالته جارية زُوِّجَتْ رَجُلاً فأَبطأَ بها أَهْلُها على زوجها، وجَعَلُوا يَعْتَلُّون بجمع أَدوات البيت فقالت ذلك استِحْثاثاً لهم.[1]

٩ ـ الاستعانة بالمراسلات من النساء :

المُراسِل من النساء: التي تُراسِل الخُطَّاب، وقيل: هي التي فارقها زوجها بأَيِّ وجه كان، مات أو طلقها. وقيل: المُراسِل التي قد أَسَنَّتْ وفيها بَقِيَّة شباب، والاسم الرِّسال. وفي حديث أَبي هريرة: أَن رجلاً من الأَنصار تزوَّج امرأَة مُراسِلاً، يعني ثَيِّباً، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: فهلاَّ بِكْراً تُلاعِبُها وتلاعِبك وقيل: امرأَة مُراسِل هي التي يموت زوجها أَو أَحسَّت منه أَنه يريد تطليقها فهي تَزَيَّنُ لآخر؛ وأَنشد المازني لجرير:

يَمْشِي هُبَيْرَةُ بعد مَقْتَل شيخه مَشْيَ المُراسِل أُوذِنَتْ بطلاق

: قالوا: بنى على أهله أصله أنه كان من يريد منهم الدخول على أهله ضرب عليها قبة، فقيل لكل داخل بأهله بان. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٥٣)

[1] لسان العرب، مادة: ظلل

يقول: ليس يطلب بدم أبيه، قال: المُراسِل التي طُلّقت مرات فقد بَسَأَتْ بالطلاق أي لا تُباليه، يقول: فهُبَيرة قد بَسَأَ بأن يُقْتَل له قتيل ولا يطلب بثأره مُعَوَّدٌ ذلك مثل هذه المرأة التي قد بَسَأَتْ بالطلاق أي أَنِسَتْ به.[١]

وفي الحديث: أنه دَخَل على خَديجةَ خَطَبَها، ودَخَل عليها مُسْتَنْشِئةٌ مِنْ مُوَلَّدات قُرَيْش. قال الأزهري: هي اسم تِلْكَ الكاهنة. وقال غيره: المُسْتَنْشِئةُ: الكاهنةُ سُمّيت بذلك لأنها كانت تَسْتَنْشِئُ الأَخْبَارَ أي تَبْحَثُ عنها وتَطْلُبها، من قولك رجل نَشْيانُ للخَبَرِ. ومُسْتَنْشِئةٌ يهمز ولا يهمز. والذّئب يَسْتَنْشِئُ الرِّيحَ، بالهمز. قال: وإنما هو من نَشِيتُ الرِّيح، غير مهموز، أي شَمِمْتُها.[٢]

من أسباب دفع العنوسة عند العرب الاستعانة بالمراسلات والمستنشئات، فقد يلجأ العانسون من رجال المجتمع إلى النساء اللاتي يتراسلن بين الرجال ومخطوباتهن، وهي طريقة متبعة في الجاهلية واستمرت لما بعد الإسلام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل أم سليم وغيرها للإتيان بصفات من يريد الاقتران بها[٣] ووظيفة المراسل:

ـ الإخبار عن وجود أصناف النساء اللاتي هن خلف الجدار وأنواعهن من نساء صغيرات في سن الزواج وأخر مطلقات وأرامل ومغيبات وفاقدات.

ـ عكس مزايا هؤلاء النسوة من جمال وألوان وأجسام ومزايا أخلاقية ومستوى تعليمي وأدب رفيع، وغيرها من مرغبات الرجال في النساء.

---

[١] لسان العرب، مادة: رسل

[٢] لسان العرب، مادة: نشأ

[٣] انظر ص من هذا الكتاب.

ـ إيصال صفات ومزايا الرجال الراغبين في الزواج من هؤلاء النسوة وترغيبهن فيهم.

ـ إقناع الممتنعات من النساء والفتيات اللاتي يرفضن المتقدمين لهن بأنهن سيندمن على تفريطهن وإضاعتهن هذه الفرصة وإفلات هذا العريس منهن والعجز عن اقتناصه حتى تظفر به غيرك وستذكرين هذا التفريط وتندمين أشد الندم ولسن حال المراسل إن لم يكن مقالها يقول ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [1]

ـ كتمان صفات النقص التي يعلمنها عن الزوج المتقدم أو الفتاة التي يود خطبتها لأن قصد المراسل هو اقتران من اتصل بها بمن أوصلته إليه، ومن ثم قد تغض الطرف عن كثير من الأخطاء التي تعلمها، قال يزيدُ بن الحَكَم الثَّقَفي ذاكرا هذا الصنف من النساء:

بَدا منْك غِشٌّ، طالما قَدْ كَتَمْته ... كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِها أُمُّ مُدَّوِي

وذلك أن خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية فجاءت أُمّها أُمّ الغلام لتنظر إليه فدخل الغلام فقال: أَأُدَّوِي يا أُمِّي؟ والدُّوايَةُ والدِّوايَةُ: جُلَيْدةٌ رقيقة تعلو اللَّبَنَ والمَرَقَ. فقالت: اللِّجامُ مُعَلَّقٌ بعَمُودِ البَيْت؛ أرادت بذلك كِتْمان زَلَّة الابن وسُوءِ عادَته. [2]

وهذا الصنف من النساء لا يزال يوجد في بعض بلاد العالم الإسلامي إلى اليوم وطريقته تتم بأن يعطي الرجل الصفات التي يرغب في توفرها في شريكة حياته وقسيمة

---

[1] سورة غافر آية ٤٤

[2] لسان العرب، مادة: دوا

فراشه للمرأة المهتمة بهذه الأمور فتأتيه بقائمة من أسماء النساء المعروفات الأسر اللاتي تعرفهن وأعمارهن ومميزاتهن فينتقي منهن من يشاء ثم ينظر إليها وعندما يكلل المشروع بالنجاح وتتم الزواج يعطي الرجل الخاطبة جعلا من المال.

ومن الأمور التي تقوم مقام المراسلات الآن ما تفعله بعض المجلات ومواقع الإنترنت من عرض لأصناف الراغبين في الزواج من الجنسين وذكر أعمارهم ومميزاتهم مع الاحتفاظ بصورهم بغية إتمام الأمر للمهتمين.

وقد جرت ندوة نشرت في موقع إذاعة الصين الدولية بعنوان : البعض يفضلونها من على الإنترنت، جاء فيها الآتي: أسماء الآلاف من المواقع العربية على الإنترنت تهدف إلى الإسهام في حل مشكلة تفاقمت داخل الوطن العربي وطفت على السطح في الآونة الأخيرة بشكل بات يفزع الآباء والأمهات، وهي مشكلة العنوسة فهذه المواقع أصبحت تسهل عملية البحث لراغبي الزواج وتحميهم في نفس الوقت من التردد والخجل أو الخوف من رفض الجنس الآخر.

وهذه النوعية من المواقع تنتشر في العديد من المجتمعات حول العالم وتساعد الشباب من الجنسين على الوصول إلى نصفهم الآخر ، بعدما اختفت الخاطبة التقليدية كما اختفت أشياء كثيرة اتسم بها الزمن الغابر حلت محلها خاطبة آخر الزمان أو الخاطبة الإلكترونية وذاك وجه آخر للإنترنت.

فليس كل ما فيه سيئ وقبيح ، برغم أن للإنترنت وجها آخر مليء بالمشكلات والتعقيدات الضارة إنسانيا وعائليا واجتماعيا إلا أن ذلك لا يمنع وجود وجه آخر أليف نبيل قد يتمكن من حل بعض المشكلات الكبيرة الجاثمة فوق صدر الوطن العربي وهي مشكلة العنوسة وسواء نجح الإنترنت في ذلك أو لا ونجحت الفكرة أو فشلت فهي على أية حال فكرة جديدة تستحق الدراسة .

والسؤال الآن هل يمكن للإنترنت أن يتحول أيضا إلى خاطبة العصر الإلكتروني ويكون وسيطا ملائما وسريعا بين الشباب والفتيات عبر المحادثات المرئية قبل الزواج ، خاصة في المجتمعات المحافظة كمجتمعاتنا العربية التي تحظر الاختلاط وهل يسهم في حل هذه المشكلة التي أكدتها الإحصاءات :

ويطرح الدكتور محمد حسن غانم --- أستاذ علم النفس بجامعة حلوان -- رؤيته حول العنوسة مؤكدا أنها تمثل ظاهرة خطيرة في المجتمعات النامية والعربية تحديدا ، حيث يعد الزواج سترة للبنت وحفظا لكرامة أسرتها .

أما الدكتور حسن عبد اللطيف فيقول : " مشكلة العنوسة لها خلفيات عديدة قد تكون أهمها التغييرات التي طرأت على مجتمعاتنا واحتلال النظرة المادية لتفكيرنا ونظام الحياة بشكل عام حتى أصبحت تحكم اختيارات الزواج " ويضيف قائلا " اليوم الفتاة لم تعد تحلم بالفارس الذي يحملها على الحصان الأبيض ولم تعد تهتم بقوة الرجل أو الشكل بل الأقوى هو القادر على توفير حياة مرفهة من جهة أخرى أصبح من الضروري أن تتم الفتاة تعليمها ومن الواضح أنه كلما كبرت ونضجت الفتاة تدقق بشكل أكبر في اختيارها وقد لا ترضي إلا بالصورة الكاملة بعكس نظرة طالبة المدرسة الصغرى التي لا يهمها سوى ارتداء الطرحة البيضاء والفرحة بليلة العمر إضافة إلى وجود تضارب كبير في المفاهيم فنجد إن المجتمع أصبح متخبطا بين عاداته وتقاليده وبين مفاهيم الحضارة وهذا ينعكس بشكل أو بآخر على الزواج وتأسيس الأسرة وعن الحل لهذه المشكلة يقول الدكتور حسن " لا بد أن يساهم المجتمع بأكمله في حل هذه المشكلة والتوعية بأهداف الزواج الحقيقية بعيدا عن الأحلام والماديات التي قد تضر مستقبل الشباب وتضع أمامهم عوائق كبيرة إلى جانب تنبيه الفتاة كي لا يتسبب تركيزها على مستقبلها العلمي الوظيفي في حرمانها من التفكير في الجانب الأهم من حياتها لا بد إلى يكون هناك نوع من

الموازنة كي لا يطغي جانب على الآخر وتقع الفتاة فريسة للندم على قطار العمر الذي يفوتها . "

يذكر أن بعض المواقع الخاصة بالزواج على شبكة الإنترنت تتبع أسلوبا جديد لتقريب الشباب والفتيات من خلال غرف الدردشة التي ترفع شعار أسأل حبيبك كل يوم خمسة أسئلة وأجب عليها بمنتهى الصدق لتتعرف على نصفك الآخر .

كل ذلك برغم وجود دراسة بريطانية قامت بها منظمة ريليت أكبر جمعية لتقديم النصائح الزوجية في بريطانيا . ذكرت فيها أن الإنترنت هو أحد الأسباب الرئيسية لانهيار العلاقات الزوجية في بريطانيا .

وتقول المنظمة إن نحو عشرة في المائة من تسعين ألف زوج وزوجة يسعون سنويا لاستشارة المنظمة حول الزواج سنويا أن الإنترنت هو إحدى المشكلات التي يواجهونها .

وقالت المنظمة في تقرير لها إن أحد عوامل ذلك هو أن الهوس بالإنترنت يمكن أن يستنفد جزءا كبيرا من الوقت ولا يترك سوى وقت ضئيل للشخص للتفاعل مع شريك حياته ولكن هناك عوامل أخرى من بينها أن الشبكة تتيح للمرء إمكانية الاتصال بسهولة مع شركائه السابقين . وتقول منظمة ريليت إلى العلاقات الزوجية بين أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين عاما هي الأكثر عرضة للخطر بسبب الإنترنت، وذلك هو الوجه الآخر له .

هذا عن الغرب أما في بلادنا فكأي فكرة جديدة لها مؤيدوها ومعارضوها .

ومن المعترضين شابة ترى أنها لا تقبل أن تتزوج عن طريق الإنترنت فالزواج على حد قولها مشاعر وأحاسيس فكيف يمكن أن أختار زوج المستقبل بهذه الطريقة ، وأعتقد أنه مهما قدم الكمبيوتر من معلومات شخصية الطرف الآخر ، فلن تكفي أبدا ،

ولا يمكن الحكم على شخص من خلالها ، ولا بد أن يقتصر استخدام الإنترنت على المعلومات المفيدة ودون التدخل في الأشياء التي تمس المشاعر والأحاسيس

وقال شاب عربي أخر متخصص في مجال الكمبيوتر عن مواقع البحث على شبكة الإنترنت كوسيط في الوصول إلى شريك العمر إنها قد أصبحت منتشرة بصورة كبيرة فمن السهل على أي فتى الدخول على المواقع التي تحتوى العديد من طلبات الزواج للجنسين على الإنترنت .

أما شابة عربية أخرى فترى ---- على العكس ---- أن استخدام الإنترنت في الزواج أمر جيد ، ويمكن أن يساعد على حل مشكلة العنوسة حيث أن مجتمعنا محافظ ولا يسمح بالاختلاط وتعارف الفتاة بالشاب ولكن إذا تم التعارف عبر الإنترنت يمكن أن يتناقش الطرفان وهو أفضل من أن تخطب الفتاة إنسانا تتزوجه ثم لا يحدث تفاهم وتفسخ الخطبة أو يتم الطلاق المبكر . لذلك فإنني أوافق على الزواج عبر الإنترنت بشدة ، والذي سيقوم بدور الخاطبة في الوقت الحاضر .

يرفض شاب آخر الزواج بهذه الطريقة ويرى أن الفتاة التي تقبل أن تتحدث مع شاب لا تعرفه من خلال الإنترنت وتراسله ، لا يمكن الوثوق فيها لأنها قد تتحدث مع شباب آخرين بهدف التسلية ولكن عند اختيار زوجة المستقبل فلا بد من العودة للوسائل التقليدية ودخول البيوت من أبوابها وليس من شبكات الإنترنت. [١]

---

[١] موقع : [CRI ON LINE إذاعة الصين الدولية، عربي ١١/١]

ومن أمثلة استعمال الإنترنت في الخطوبة ما جاء في موقع : إسلام أون لاين:[١] العنوسة شبح يطارد كثيرا من الفتيات في الوطن العربي، وتبدأ الأسرة في البحث عن عريس لابنتها، ويقول المثل العربي الشائع: "أخطب لابنتك ولا تخطب لابنك"، وقال صلى الله عليه وسلم "من كان عنده بنت أو بنتان أو أخت أو أختان أو أكثر فرباهن وعلمهن وزوجهن دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب".

والبحث في الإنترنت عن فرص الزواج أو شريك العمر أصبح ظاهرة في الخليج، فبعض الأسر تقوم بالبحث عن مواقع الزواج الإسلامي للبحث عن عريس مناسب لابنتهم ولكن بعض الخاطبات في السعودية استفدن من الكمبيوتر والإنترنت، ويستخدمن هذه التقنية في رصد بيانات عن المتقدم للزواج ولا يطلع أحد على هذه البيانات إلا الجادون في الزواج ويتم حفظ صورة الخاطب على موقع على الديسك (لتراه الفتاة) وتتعرف على شريك حياتها المنتظر.

وتقوم الخاطبة في الغالب بتلقي طلبات الزواج من الرجال والنساء ثم تسجيلها في دفتر أو إدخال هذه البيانات في أشرطة خاصة وتعطي المواصفات المطلوبة في الشريك أو الشريكة من حيث الوضع الاجتماعي والمادي والمستوى الثقافي والتعليمي وتقوم الخاطبة بتدوين مواصفات الفتاة ووضعها الاجتماعي وكذلك تفعل مع الشريك المتقدم للزواج وفق شروط معينة قد يجدها مخزنة في الكمبيوتر وللتأكد من راغبي الزواج يدفع المتقدم أو المتقدمة للبحث له عن زوج أو زوجة مبلغا يتراوح ما بين ألف ريال سعودي مقابل إتمام كل زواج.

---

[١] الرياض – صالح عبد الغفار– إسلام أون لاين.نت /١٤-٧-٢٠٠١ / الكمبيوتر ينافس الخاطبة في السعودية

والبعض يعرض بناته للزواج من الرجل المناسب أو مساعدته في إيجاد زوج لهن يشترط فيه حسن الخلق والاستقامة والبعض يبحث عن زوجة ثانية لمرض زوجته، وفي الغالب لا يقدم أي مبالغ للوسيط (الخاطبة) إلا بعد إتمام الزواج.

وتقول إحدى الخاطبات: عندما يتصل بي شخص أسجل معلوماته وحالته الاجتماعية والاقتصادية ومستواه التعليمي وأضع هذه البيانات وأدخلها في الكمبيوتر وعندما أتأكد من صحة هذه المعلومات المقدمة لي عن الخطيب ويتم ذلك بالسؤال من الأقارب والمعارف أو بواسطة زوجي وعند التأكد من صدقه يتم البحث له عن شريكة لحياته دون ذكر الاسم أو العنوان للخاطب ويتم حضور الفتاة مع محرم لها وأهلها عندي أو عندهم في البيت ويتم الرؤية الشرعية وإذا كان التوفيق من الله وتم الزواج فإني آخذ حقي وهو ألفان ريال بعد إتمام الزواج وتضيف: في الغالب يطلب الرجال المتعلمون موظفة أو مدرسة أما رجال الأعمال والأثرياء فإنهم يفضلون غير الموظفة.

١٠ ـ اللجوء إلى الخداع والتغرير واستبدال العانس بغيرها:

قد يكون لإحدى الأسر عدد من البنات فيهن الجميلة الجملاء والقبيحة الشوهاء، والسليمة المعافاة، والمعاقة المبتلاة، وتكون هؤلاء الأخوات شقيقات وقد يزيد الأمر سواء إن كانت هذه الفتيات بنات لعلات مختلفات فيزداد التباين بين هذه الفتيات اتساعا فيضاف إلى التفاوت بينهن التفاوت بين أمهاتهن فقد تكون إحداهن مهيرة[١] والأخرى هجينة[٢] وقد يكون جميع البنات على درجة من الجمال والغنى إلا أن الذي يفرق بينهن هو التفاوت في الأمهات وعند اشتداد عنوسة بعض الفتيات يلجأ أولياء

---

[١] المَهِيرَةُ الحُرّةُ، والمَهائرُ الحرائرُ، وهي ضدُّ السَّرائر. [لسان العرب، مادة: مهر]

[٢] الهَجينُ: اللَّئيمُ، وعَرَبِيٌّ ولِدَ من أمَة، أو مَنْ أبوهُ خَيْرٌ من أُمِّه ج: هُجنٌ وهُجَناءُ وهُجْنانٌ ومَهاجِينُ ومَهاجِنَةٌ، وهي هَجِينَةٌ. [القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب النون. فَصْلُ الهَاء.]

أمورهن إذا كان لأسرة من الأسر عدد من البنات الرائجات وبينهن واحدة كاسدة السوق لقبحها أو كبرها وتقدم سنها أو لإعاقتها أو لأنها هجينة يلجئون إلى الخداع والتغرير فعندما يتقدم أحد الخطاب لهذا الأب طالبا منه أن يزوجه إحدى بناته المهيرات وأن يجنبه الهجينات ويكرر هذه الأمر ويحدد له البنت التي يريدها يوافق الأب على ذلك، ومن ثم يتم عقد النكاح وعند دخول البنت على زوجها يدخل أبوها غيرها من أخواتها الهجينات [1] لعلم الأب بتعسر زواج الهجينات ويسر وسهولة زواج المهيرات، وقد يستحي الزوج ويقبل بهذا الأمر ويوافق على استبدال هذه الفتاة بأختها فيطلق أختها ويعقد له عليها ويتم الزواج وقد يرفض بشدة ومن الأمثلة لذلك: عن أبي الوضين أن رجلا تزوج إلى رجل من أهل الشام ابنة له ابنة مهيرة فزوجه وزف إليه ابنة له أخرى بنت فتاة فسألها الرجل بعد ما دخل بها ابنة من أنت؟ فقالت: ابنة فلانة تعني الفتاة فقال: إنما تزوجت إلى أبيك ابنة المهيرة فارتفعوا إلى معاوية بن أبي سفيان فقال: امرأة بامرأة وسأل من حوله من أهل الشام فقالوا له: امرأة بامرأة فقال الرجل لمعاوية: ارفعنا إلى علي بن أبي طالب فقال: اذهبوا إليه فأتوا عليا فرفع علي شيئا من الأرض وقال: القضاء في هذا أيسر من هذا لهذه ما سقت إليها بما استحللت من فرجها وعلى أبيها أن يجهز

---

[1] قال محمد بن السائب الكلبي :وكانوا ـــ أي العرب في الجاهلية ـــ يخطبون المرأة إلى أبيها، أو إلى أخيها، أو عمها، أو بعض بني عمها. وكان يخطب الكفء إلى الكفء. فإن كان أحدهما أشرف من الآخر في النسب رغب له في المال. وإن كان هجينا خطب إلى هجين فزوجه هجينة مثله. ويقول الخاطب إذا أتاهم:أنعموا صباحا، ثم يقول:نحن أكفاؤكم ونظراؤكم، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتمونا، وكنا لصهركم حامدين، وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين.[الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني، ج ٢ ص]

الأخرى بما سقت إلى هذه ولا تقربها حتى تنقضي عدة هذه الأخرى، قال: وأحسب أنه جلد أباها أو أراد أن يجلده.[1]

فعليك أيها الأب أن تنقي أم أولادك حتى لا تكون سببا في عنوسة بناتك.

١١ ـ وجود ذاكرين للأسر وواصفين لجمال النساء :

يكون الذاكرون للأسر الواصفون لجمال النساء من الرجال والنساء على السواء وعلى التفصيل الآتي:

أ ـ الذاكرون للأسر :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود أفراد من الجنسين يقومون بالإشارة إلى الأسر التي يرون أنها قد حازت قصب السبق من الحسب والدين والأخلاق والأدب فإن انضاف إلى ذلك الجمال فقد تم المراد واكتمل المرجو فيقوم هذا الصنف من الناس بتوجيه وإرشاد الراغب في الزواج بأن عليك أن تتزوج بنت فلان ويكون هذا الواصف لم ير هذه البنت ولا يعرف عمرها وإنما يعرف أباها وأسرتها ونبلهم وكرم أرومتهم وقد تكون هذه الأسرة في لحظة قول هذا الكلام تكون بناتها قد تزوجت أو أن الكبار منهن قد تزوجن وبقيت بنات صغار دون سن الزواج فيرى هؤلاء الواصفون أن عليك اختيار هذه الأسرة ذات الأصل والفصل ثم الاختيار والانتقاء من فتياتها فلا بد أنك ستظفر بمن تريد وتقترن بمن تود من بناتها، لأنهم أدبوا بناتهم فأحسنوا الأدب وربوا فأحسنوا التربية، وروضوا فأحسنوا الرياضة قال أحد الواصفين لمكانة إحدى الأسر دالا وناصحا ومشيرا على الراغبين في الزواج وقد سجل ذلك شعرا فقال :

يا أيُّها الرَاكِبُ، ذُو الثَباتِ إنْ كُنتَ تَبْغِي صاحِبَ الباءَاتِ[2]

---

[1] كنز العمال، حديث رقم: ١٤٥١٣

فاعْمِدْ إلى هاتِيكُمُ الأَبْياتِ[٢]

ب ـ الواصفون من النساء :

عن صالح بن كيسان قال : رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء، كانت لها سقيفة يتحدث إليها رجالات قريش، فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير، وعمرو بن سعيد بن العاص، وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر ، فقالوا : يا خالة قد خطبنا نساء من قريش، ولسنا ننتفع إلا بنظرك إليهن، فأرشدينا بفضل علمك فيهن، فقالت لمصعب: يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت؟ قال: عائشة بنت طلحة ، قالت: فأنت يا ابن الصديق؟ قال: أم القاسم بنت زكريا بن طلحة. قالت: فأنت يا ابن أبي أحيحة؟ قال: زينب بنت عمرو بن عثمان، فقالت: يا جارية عليّ بمنقليّ ــ تعني خفيها ــ فأتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها، فأتت عائشة بنت طلحة، فقالت: مرحبا بك يا خالة. فقالت: يا بنية إنا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت، وذكر جمالك، فلم أدر كيف أصفك فتجردي لأنظرك، فألقت درعها ثم مشت فارتج كل شيء منها، ثم أقبلت على مثل ذلك، فقالت: فداك أبي وأمي خذي ثوبك، وأتتهن جميعا على مثل ذلك، ثم رجعت إلى السقيفة فقالت: يا ابن أبي عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط، ممتلئة الترائب زجاء العينين، هدبة الأشفار، محطوطة المتنين، ضخمة العجيزة، لفاء الفخذين، واضحة الثغر، نقية الوجه، فرعاء الشعر، إلا أني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها أما إحداهما فيواريها الخف وهي عظم القدم والأخرى يواريها الخمار، وهي عظم الأذن، وأما أنت يا أبن أحيحة،

---

(١) الباءُ النِّكاح، يقال: فُلانٌ حريصٌ على الباء والباءَة والباه، بالهاء والقصر، أي على النكاح؛ والباءةُ الواحدةُ والباء الجمع، وتُجمع الباءَةُ على الباءَات. [لسان العرب، مادة: بوأ]

(٢) لسان العرب، مادة: بوأ

فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط، إلا أن في الوجه ردة، ولكن مشيرة إليك بأمر تستأنس إليه وهي ملاحة تعتز بها، وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم، وما شبهتها إلا بخوط بانة تثنى، أو خشف يتقلب على رمل،[١] فتزوجوهن.[٢]

ج ـ الواصفون من الرجال :

ـ هيت يصف امرأة لعبد الله بن أبي أمية:

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مُخَنَّثٌ فَقَالَ الْمُخَنَّثُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ.[٣]

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : ذكر ابن إسحاق في المغازي أن اسم المخنث في حديث الباب ماتع وهو بمثناة وقيل بنون ، فروي عن محمد بن إبراهيم التيمي قال " كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الطائف مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في بيته لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يفطن لشيء من أمر النساء مما يفطن له الرجال ولا

---

[١] عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا. [صحيح البخاري: كتاب النكاح بَاب لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا، حديث رقم: ٤٨٣٩/ مسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٤٠٠٩]

[٢] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٨٩ ــ ١٩٠

[٣] صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة، حديث رقم: ٤٨٣٤/ صحيح مسلم: كتاب: السلام، بَاب مَنْعِ الْمُخَنَّثِ مِنْ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ الْأَجَانِبِ، حديث رقم: ٤٠٤٩

أن له إربة في ذلك، فسمعه يقول لخالد بن الوليد : يا خالد إن افتتحتم الطائف فلا تنفلتن منك بادية بنت غيلان بن سلمة، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان،[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منه : لا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع، ثم قال لنسائه : لا تدخلن هذا عليكن ، فحجب عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم " وحكى أبو موسى المديني في كون ماتع لقب هيت أو بالعكس أو أنهما اثنان خلافا ، وجزم الواقدي بالتعدد فإنه قال : كان هيت مولى عبد الله بن أبي أمية ، وكان ماتع مولى فاختة ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم نفاهما معا إلى الحمى ، وذكر الباوردي في " الصحابة " من طريق إبراهيم بن مهاجر عن أبي بكر بن حفص " أن عائشة قالت لمخنث كان بالمدينة يقال له أنة بفتح الهمزة وتشديد النون : ألا تدلنا على امرأة نخطبها على عبد الرحمن بن أبي بكر ؟ قال : بلى ، فوصف امرأة تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أنة اخرج من المدينة إلى حمراء الأسد وليكن بها منزلك " والراجح أن اسم المذكور في حديث الباب هيت ، ولا يمتنع أن يتواردوا في الوصف المذكور ، ووقع في أول رواية الزهري عن عروة عن عائشة عند مسلم " كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة ؛ فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة " الحديث ، وعرف من

---

[1] قال النووي: قال العلماء: وإخراجه ونفيه كان لثلاثة معان: أحدها المعنى المذكور في الحديث أنه كان يظن أنه من غير أولى الإربة، وكان منهم، ويتكتم بذلك. والثاني وصفه النساء ومحاسنهن وعوراتهن بحضرة الرجال، وقد نهي أن تصف المرأة لزوجها، فكيف إذا وصفها الرجل للرجال؟ والثالث أنه ظهر له منه أنه كان يطلع من النساء وأجسامهن وعوراتهن على ما لا يطلع عليه كثير من النساء، فكيف الرجال لا سيما على ما جاء في غير مسلم أنه وصفها حتى وصف ما بين رجليها أي فرجها وحواليه. [مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٩ ص ٥٨٦٩]

حديث الباب تسمية المرأة وأنها أم سلمة والمخنث بكسر النون وبفتحها من يشبه خلقه النساء في حركاته وكلامه وغير ذلك ، فإن كان من أصل الخلقة لم يكن عليه لوم وعليه أن يتكلف إزالة ذلك ، وإن كان بقصد منه وتكلف له فهو المذموم ويطلق عليه اسم مخنث سواء فعل الفاحشة أو لم يفعل ، قال ابن حبيب : المخنث هو المؤنث من الرجال وإن لم تعرف منه الفاحشة ، مأخوذ من التكسر في المشي وغيره.

وأخرج أبو داود من حديث أبي هريرة " أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بمخنث قد خضب يديه ورجليه فقيل: يا رسول الله إن هذا يتشبه بالنساء، فنفاه إلى البقيع، فقيل ألا تقتله فقال: إني نهيت عن قتل المصلين" . ووقع في مرسل ابن المنكدر أنه قال ذلك لعبد الرحمن بن أبي بكر فيحمل على تعدد القول منه لكل منهما : لأخي عائشة ولأخي أم سلمة. والعجب أنه لم يقدر أن المرأة الموصوفة حصلت لواحد منهما، لأن الطائف لم يفتح حينئذ، وقتل عبد الله بن أبي أمية في حال الحصار، ولما أسلم غيلان بن سلمة وأسلمت بنته بادية تزوجها عبد الرحمن بن عوف فقدر أنها استحيضت عنده وسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المستحاضة، وتزوج عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي وقصته معها مشهورة، وقد وقع حديث في سعد بن أبي وقاص أنه خطب امرأة بمكة فقال: من يخبرني عنها؟ فقال مخنث يقال له هيت: أنا أصفها لك. فهذه قصص وقعت لهيت. قوله (إن فتح الله لكم الطائف غدا) وقع في رواية أبي أسامة عن هشام في أوله " وهو محاصر الطائف يومئذ " قوله (فعليك) هو إغراء معناه احرص على تحصيلها وإلزامها. قوله (غيلان) في رواية حماد بن سلمة " لو قد فتحت لكم الطائف لقد أريتك بادية بنت غيلان " واختلف في ضبط بادية فالأكثر بموحدة ثم تحتانية وقيل بنون بدل التحتانية حكاه أبو نعيم، ولبادية ذكر في المغازي، ذكر ابن إسحاق أن خولة بنت حكيم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن فتح الله عليك الطائف أعطني حلي بادية بنت غيلان

وكانت من أحلى نساء ثقيف ، وغيلان هو ابن سلمة بن معتب بمهملة ثم مثناة ثقيلة ثم موحدة ابن مالك الثقفي، وهو الذي أسلم وتحته عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار أربعا ، وكان من رؤساء ثقيف وعاش إلى أواخر خلافة عمر رضي الله عنه. قوله (تقبل بأربع وتدبر بثمان) قال ابن حبيب عن مالك معناه أن أعكانها ينعطف بعضها على بعض وهي في بطنها أربع طرائق وتبلغ أطرافها إلى خاصرتها في كل جانب أربع، ولإرادة العكن ذكر الأربع والثمان. فلو أراد الأطراف لقال بثمانية.

قال أبو عبد الله [1] تقبل بأربع يعني بأربع عكن ببطنها فهي تقبل بهن، وقوله وتدبر بثمان يعني أطراف هذه العكن الأربع لأنها محيطة بالجنب حين يتجعد . ثم قال : وإنما قال بثمان ولم يقل بثمانية – وواحد الأطراف مذكر – لأنه لم يقل ثمانية أطراف.

وحاصله أن لقوله ثمان بدون الهاء توجيهين إما لكونه لم يصرح بلفظ الأطراف وإما لأنه أراد العكن، وتفسير مالك المذكور تبعه فيه الجمهور، قال الخطابي: يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رؤيت مواضعها بارزة متكسرا بعضها على بعض وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبيها ثمانية. وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء، وجرت عادة الرجال غالبا في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة، وعلى هذا فقوله في حديث سعد " إن أقبلت قلت تمشي بست، وإن أدبرت قلت تمشي بأربع " كأنه يعني يديها ورجليها وطرفي ذاك منها مقبلة وردفيها مدبرة، وإنما نقص إذا أدبرت لأن الثديين يحتجبان حينئذ. وذكر ابن الكلبي في الصفة المذكورة زيادة بعد قوله وتدبر بثمان " بثغر كالأقحوان، إن قعدت تثنت، وإن تكلمت تغنت. وبين رجليها مثل الإناء المكفوء " مع

---

[1] أي البخاري رحمه الله تعالى.

شعر آخر. [١] وزاد المديني من طريق يزيد بن رومان عن عروة مرسلا في هذه القصة" أسفلها كثيب وأعلاها عسيب"،[٢] قال المهلب: إنما حجبه عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيج قلوب الرجال فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب.

وفي سياق الحديث ما يشعر بأنه حجبه لذاته أيضا لقوله " لا أرى هذا يعرف ما هاهنا " ولقوله " وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة، فلما ذكر الوصف المذكور دل على

---

[١] ذكر الواقدي وابن الكلبي: أن هيتا المخنث قال لعبد الله ابن أبي أمية المخزومي وهو أخو أم سلمة لأبيها وأمه عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وهو في بيت أخته أم سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع: إن افتتحتم الطائف فعليك ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان مع ثغر كالأقحوان إن جلست تبنت وأن تكلمت تغنت بين رجليها مثل الإناء المكفوء وهي كما قال قيس بن الخطيم:

تغترف الطرف وهي لاهية كأنما شف وجهها نزف
بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قضف
تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تنقصف

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لقد غلغلت النظر إليها يا عدو الله ثم أجلاه عن المدينة إلى الحمى قال: فلما افتتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بزيهة.[التمهيد لابن عبد البر، ج ٢٢ ص ٢٧٦]

[٢] قال: إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك ببادية بنت غيلان بن مغيث، فإنها مبتلة هيفاء، شموع نجلاء، إن قامت تثنت، وإن قعدت تبنت، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كالأقحوان، وثدي كالرمان، أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب.(تحفة العروس ص٢٢٨)

أنه من أولي الإربة فنفاه لذلك "ويستفاد منه حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن، وهـذا الحديث أصل في إبعاد من يستراب به في أمر من الأمور.[١]

ـ رجل يصف امرأة لسعد بن أبي وقاص :

عن مجاهد عن عامر بن سعد قال: خطب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه امرأة بمكة فقال: ليت عندي من رآها، ومن يخبرني عنها، فقال رجل مخنث: أنا أنعتها لك: إذا أقبلت قلت: تمشي على ست، وإذا أدبرت قلت: تمشي على أربع.

قال ابن الأثير: إن سعداً خطَبَ امرأةً بمكة فقيل: إنَّها تَمْشي علـى سـتٍّ إذا أقْبَلت، وعلى أربع إذا أدْبَرت يعني بالسِّت يَدَيها وثَدْيِيها ورِجْلَيها: أي أنها لعِظَم ثَدْيَيها ويَدَيها كأنها تَمْشي مُكِبَّة. والأربعُ رجلاها وإلْيَاها، وأنهما كادتا تمسَّان الأرضَ لعِظمِهما، وهي بنتُ غَيْلانَ الثَّقَفيَّة التي قيل فيها: تُقْبل بأربَع وتُدْبر بثَمان، وكانت تحتَ عبد الرحمن بن عوف.[٢]

وقال ابن قتيبة: وأما قوله: إذا أقبلت تمشي على ست، وإذا أدبرت قلت: تمشي على أربع، فإنه يريد أنها عظيمة الخلق فإذا أدبرت رأيتها كالمكبة لعظم أردافها، فقلـت: تمشي على أربع، وإذا أقبلت رأيتها كالمستلقية، وتحرك منها ثدياها لعظمهما وارتفاعهما، ومنكباها ورجلاها، فكأنها بحركة هذه الست تمشي على ست.[٣]

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٤٠٣ ــ ٤٠٦

[٢] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة: {ستت} / لسان العرب، مادة: ستت

[٣] غريب الحديث لابن قتيبة ج١ص٣٩١ ــ ٣٩٢

المبحث الثاني

دفع العنوسة عند غير العرب

١ ـ الكتابة إلى الصحف

٢ ـ الاتصال بالسماسرة

٣ ـ استعمال المثيرات كالأصباغ والروائح

٤ ـ تكوين نقابات وجمعيات تساهم في حل المشكلة

٥ ـ تعليق ورقة على الصدر

المبحث الثاني

دفع العنوسة عند غير العرب

كانت أوربا تمارس دفع العنوسة وذلك قبل طوفان الإباحية الذي اجتاحها الآن، فالآن العنوسة في أوربا ليست مشكلة، لإمكانية قضاء الأوطار في أي لحظة ومع من يشاء أحدهم سواء أكان زنا أو لواطا أو سحاقا، بينما كانت أوربا في السابق لها اهتمام بالزواج وتعظيم قدر العفة وتنهى عن الزنا وتعاقب الزانيات وتمارس تعدد الزوجات.[1]

وكثرة النساء لا يعاني منها العالم الإسلامي فحسب فكذلك العالم الغربي، ففي فرنسا مثلا : أكد تقرير المعهد الفرنسي للإحصاء تراجع نسب الزواج بين الفرنسيين للعام الثاني على التوالي وكانت النسبة قد سجلت انخفاضا عام ١٩٩٢ م- حيث تدنت بمقدار ٣%، وارتفعت نسب رفض الزواج في الثلث الأول من عام ١٩٩٣م حيث بلغ الانخفاض ٧% عن الفترة نفسها من عام ١٩٩٢م كما أن نسبة ٥٠% من الزيجات التي تمت عام ١٩٩٣ م كانت غير فرنسية خالصة، وإنما زيجات مختلطة، أغلبها لرجال من شمال أفريقيا "تونس، المغرب، الجزائر" وسيدات فرنسيات.

ولم تمثل نسب زواج الفرنسيين من أوربيين أكثر من ٢٥% من مجموع الزيجات. كما أن ثلث النساء اللائي بلغن الخامسة والعشرين عازبات في مقابل امرأة واحدة من كل بلغن الخامسة والثلاثين لم تتزوج، بعد وتبذل الحكومة الفرنسية جهودا كبيرة لتشجيع الشبان والشابات على الزواج، حيث تخصص لهم إعانات للطفلين الأول والثاني

---

[1] انظر غنية المحتاج إلى بناء الأسرة وأنواع الزواج

بشكل تصاعدي ولكن لم تفلح هذه المجهودات في إقناع الفرنسيين بالإقبال على الزواج.[١]

وكان دفع العنوسة عند غير العرب من أعلاج أوربا ونحوهم على النحو التالي:

١ ـ الكتابة إلى الصحف:[٢]

أخذت بعض النساء تعلن عن رغبتها عن الزواج على الجرائد ومن أمثلة هذه الإعلانات المطالبة بـ :

أ ـ سن قانون يبيح تعدد الزوجات

بعثت فتاة إلى رئيس إحدى الصحف بالخطاب الآتي: إنني أبلغ من العمر الثانية والثلاثين، وأعيش من كدي وثمرة مجهودي في الحياة ، وليس لي ما أشكو منه إلا أنني محرومة من الأطفال ، وأنت تعلم يا سيدي أن عدد الرجال بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م) قد انخفض، ولا سبيل إلى التوازن ما دام للرجل امرأة واحدة، أفليس من الواجب على الحكومة إذن أن تسن قانونا تبيح فيه تعدد الزوجات.

وما دمت أحدثك عن نفسي فأقسم لك أنني إذا سن هذا القانون وشاركني في حياة زوجي نساء أخريات لن تجد الغيرة إلى قلبي سبيلا بل لن أطمح إلى معرفة الزوجة أو الزوجات اللاتي يتخذهن بعلي، بل حسبي أن تكون حياتي معه شريفة ، وأن أرزق منه أطفالا تقر بهم عيني.[٣]

---

[١] نقلا عن كتاب: تفشي العنوسة – أسبابها – آثارها، الباب السابع من كتاب تعدد الزوجات، تأليف : الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي

[٢] بدأت بعض المجلات في بعض البلدان العربية تكتب عن خاطب يرغب في زوجة صفاتها كذا وكذا ويذكر ما يريد من صفات، وبنت ترغب في زوج صفاته كذا وكذا وتذكر ما تشاء من صفات.

[٣] الزواج للكحالة ج ١ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ وعزاه لمجلة فتاة الشرق السنة ٢٨ عدد ٨

ب ـ الإغراء بالمال:

كتبت إحدى النساء عن نفسها قائلة: إنها بنت يتيمة ورثت عن أبيها وعن جدها أموالا طائلة وجمالها غير باهر، على أنها مقبولة، أما عيناها فجذابتان، ترغب الاقتران بفقير جميل جاهل. (١)

وقالت أخرى : إنها ذات حسب ونسب وجمال فتان، ومن يتقدم لخطبتها مستحقا لقبض نصف مليون كرون. (٢)

وكتبت ثالثة: إني أرملة في سن الأربعين، أحمل شهادات من زوجي المرحوم بحسن أخلاقي كل ثروتي وقف لمن يقترن بي، بشرط أن يكون أرملا مثلي، حاملا من زوجته المرحومة نفس الشهادات المعلنة بأمانته وإخلاصه. (٣)

٢ ـ الاتصال بالسماسرة:

أوضحت إحصائيات أجريت في النمسا عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م) أن زيادة النساء بلغت حدا جعلهن يعلن عن أنفسهن للزواج بأحد الرجال. وأما اللواتي قطعن سن الثلاثين وهن من الموسرات فإنهن يسعين للزواج بواسطة سماسرة مخصصين يتعاطون أجرة باهظة ثمن أتعابهم. (٤)

٣ ـ استعمال المثيرات كالأصباغ والروائح:

طرح في البرلمان الإنجليزي سنة ١٧٧٠م اقتراح طلب مناقشة النواب فيه وإقراره، وقد وافق عليه جميع الأعضاء بدون استثناء وأضافوه إلى مواد قانون الدولة

---

(١) الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٢) الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٣) الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٤) الزواج لعمر كحالة ج ١ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١

العام، وهو : كل امرأة مهما كان هويتها ومنزلتها وسنها، وكل امرأة سواء أكانت متزوجة أو أرملة أو صبية، أو فتاة بعد طبع ونشر هذه المادة في الجريدة الرسمية تحاول بواسطة الروائح العطرة وطلاء الخدين بالأحمر، أو بالأدهنة المختلفة، أو بواسطة الشعر المستعار، أو الحذاء العالي الكعبين، استهواء أحد رعايا صاحبة الجلالة للتزوج منها تعاقب كخداعة مغرية، والحكومة تفسخ كل زواج جاء عن طريق الاستهواء والاجتذاب بواسطة التبرج والروائح العطرية التي تؤثر على شعوره وتجعله ينقاد لها طائعا، ويجوز من الآن فصاعدا استعمال الروائح العطرية في المآتم فقط لأنه لا يخطر ببال أن المرأة مهما كانت فاسدة الأخلاق تبحث لها عن فريسة توقعها في شراكها وهي في حلة الحزن والأسى من الرجال الذين يحضرون الجنازة.[1]

٤ ـ تكوين نقابات وجمعيات تساهم في حل المشكلة :

بلاد أوربا هي بلاد العجائب والغرائب ، تجد فيها كل ما يخطر ببالك ، فالبغاء الذي كان يعتبر في السابق انحرافا قبل عقود من الزمان صار لا غبار عليه ، والبغايا اللاتي يجب عليهن أن يطأطأن رؤوسهن نجدهن يرفعنها عالية ويسيرن مظاهرات في الطريق يطالبن باحترامهن وتوفير حقوقهن المهضومة والاعتراف بشرف المهنة وتجلى ذلك في ثورة الداعرات التي اجتاحت فرنسا وغيرها من الدول يطالبن بالاحترام الاجتماعي ووضع حد لاضطهاد رجال الأمن لهن وإعادة فتح الفنادق المعدة للبغاء. وقد قام ثمانون منهن بمظاهرة داخل مدينة ليونز ثم دخلن إحدى الكنائس واعتصمن فيها ولقين الدعم والتأييد من جماعة ذكور شاذين. وكذلك اعتصم أكثر من خمسمائة مومس في باريس في

---

[1] الزواج لعمر كحالة ج١ص٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

إحدى كنائس العاصمة ، وقامت مجموعة أخرى باحتلال كنيسة أخرى وهن يطالبن بما أسمينه بحقوق المهنة وحمايتها.[١]

وكذلك القبيحات من النساء والدميمات وهن غالبا من النساء العوانس أعلن عن تكوين جمعية خاصة بهن تعنى بحقوقهن وتعكس بعض فضائلهن وخفايا مميزاتهن ، التي غابت عن الرجال الذين ينظرون إلى الجمال فقط، وهن يرين أنفسهن أفضل من النساء الجميلات لأن الجميلات متكبرات ومتعجرفات، وهن خلاف ذلك، فعلى الراغب في الزواج أن يتزوج إنسانا ذا خلق ولا يتزوج دمية يراعي فيها الجمال المحض، فالجميلة هي الدمية وهن ذوات الأخلاق.[٢]

٥ ـ تعليق ورقة على الصدر :

عندما توشك الفتاة في سيام أن تصير عانسا، تعلق على صدرها ورقة يستدل منها على أنها لا تزال بكرا، فتصبح في عهدة الملك الذي يعنى عناية خاصة بتزويجها، فيطلق سراح أي سجين يريد أن يتزوجها، لأن الشريعة في سيام تسمح بتعدد الزوجات.[٣]

---

[١] من نافذة الإباحية ص٧١ ، وعزاه إلى مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٧٠ ص٣٥ .

[٢] انظر: الزواج لعمر رضا كحالة

[٣] الزواج لكحالة ج١ص٣١٧، وعزاه لمجلة العروسة عدد ٢٩ إبريل ١٩٢٥م